شخصيات النص السردي
في (ارض الحكايا) للقاصة سناء شعلان

محمد إكويندي/ المغرب

تضمّمّ هذه المجموعة القصصية بين دفتيها ستة عشر قصة ، كلها منبثقة من ممثل /شخصية ، باعتباره بؤرة تقاطع بين مكونين اثنين : مكون تركيبي ومكون دلالي .. وشخصيات موازية تلتقي أفعالها وتتداخل لكي تخلق شبكة تتحدد داخلها مجموع العلاقات الرابطة بين الوحدات المعنوية : التراتب ، التشابه ، التقابل .. تبقى هذه المجموعة القصصية (أرض الحكايا) علامة مائزة في كتابات سناء شعلان ،على كتابتها الأولى ، لكونها جعلت (الحكاية) في كل قصة أرضيتها / إطارها ، واستخدامها للغة شفافة أكثر تداولا حتى تمنحها سلطة صفة الرأي العام ، بجمل قصيرة ، وشخصية ساردة متعالية مالكة للحقيقة ومطلقة المعرفة ، هي داخل الشخصيات وخارجها ، منفلتة من نطاق رتابة الحكي التقليدي ،وفي تبرير هذه المجموعة القصصية ، نرى تغيراً واعياً في الطريقة التي كتبت بها سناء شعلان قصصها ، سواء في بنائها أم موضوع كتابتها ،فقد نضجت ، وأصبحت أصلب عوداًً ، وأقل سنتيمالية وتشكل مظهراً جديداًً للتّنّفس المعاصرة التي تستبدل الرؤية الشخصية بالمعرفة وتعكس التّتّغيرات في الأعراف والمحرمات ...

تأتي تجربة سناء شعلان ،ضمن فضاء الكتابة بفعل الممارسة ، والإنتاج ، كما تنخرط في التوسع والإضافة إلى ما تخوض فيه : أميمة الناصر.جواهرالريفاعة,جميلة عمايرة,هدا الجيل الذي برز بعد ،سميرة عزام ،و نجوى فرح قعوار ،و ثريا ملحس ،و سامية عطعوط ، ورجاء أبو غزالة ، وزليخة ابو ريشة ، وهند أبو الشعر ... إن ما أثارني في كتابات القاصة والروائية سناء شعلان ، إنها لاتتعامل مع المثلية النسائية كحالة شاذة وجديرة بالإدانة ، إنها لا تتعامل معها كموضوع واقعي جدير بالاهتمام والفهم ، مثل ذلك بقصص : ((أكذوبة المد والمرجان ،

صديقي العزيز ، الثورة)) وتجدر الإشارة عند اختياري لبعض النصوص الإبداعية في (أرض الحكايا) كونها حققت تنوعاًاً يسمح بتغطية الحياة الداخلية للمرأة في مراحلها المتعددة وصورها المختلفة ، حيث تتبعتها ، مراهقة ، وعاشقة ، وزوجة ،و أم ، ومغامرة ... وهذا لايتاتى ، (أرض الحكايا) بان تتخطى هذه الظواهر بنظرة فنية ، دونها استحضار ما حقّقته (القصة الأردنية) من قفزة نوعية بخصائص مميزة ، وجماليات سردية متمثلة في الجيل القصصي الجديد الذي بذل جهداً في التطور والتعديل ، وهذا المجهود كانت وراءه مدامك قصصية كخلفية استمد منها الجيل اللاحق قوته وشحنته الإبداعية ومن هذه الأعمدة ممن لازال يواصل فعل الكتابة القصصية ، كإلياس فركوخ ، وجمال أبو حمدان ،و فخري قعوار ، ومحمود شقير ، وهذه الترسانة القصصية المدعمة بالنقد والتنظير ،أم ثل لذلك لا للحصر : عبد الرحمن ياغي ،و عبد الله رضوان ، وممدوح أبو دلهم ،و نزيه أبو نضال ، وحكمت النواسية ، ومحمد عبيد الله ... هذا الجرد الموجز ،هو الأرض الصلبة ((لأرض الحكايا)) وما نستشفه كذلك لاعتراف في اللاوعي الكتابة عند القاصة سناء شعلان :" عندما كنت صغيراًكنتُتُ أُحسب أنّ هناك أرض للحكايا ، وعندما احترفت فن كتابة القصة حزمت بعناد الأطفال إن هناك أرضا للحكايا ، ولكن طوبى لمن يستطيع إن يدلف إلى تخومها ويعرف السبيل إليها لأنّ قراءة الكم المتواجد وحده ، فعل كفيل بتجاوزه وإلا بقي من يريد أن يدلف أرض القصة الأردنية يراوح مكانه.

تلجأالقاصة إلى خدعة الفن (نواة) أرض الحكايا ، في مراحل من مراحل نسيجها السّسّردي ، فتلون بذلك بؤرتها الأساسية ، التي تلتقي عندها عناصر التصميم القصصي كلّلّها ، قبل أن تواصل انحدارها إلى (السّسّ ر) أو القصة المفتاح التي هي (أرض الحكايا) التي هي إثبات الوحدة الجوهرية للمجموعة ككلّلّ ، كما أفصح ذلك الملفوظ : " بعد شهر كان عندي مجموعة قصصية رائعة أسميتها (أرض الحكايا) ص 157)) وضعت تصميماًاً يرشد إلى مفتاح الكتابة القصصية ، إستاداًاً إلى الإطار العام ، إنّه تصميم يمكن شرحه إلى (الثيم) المشتغل

عليها : (البحر/ المرأة ، المد / الجزر ، الماضي / الحاضر ، الماء / الأرض ، الطول / القصر ، شخصية ثابتة / شخصية متحركة) وهاتان الوظيفتان / الثنائيات الدلالية المصممة على أساس شكلي متتابع ، كحكايا ألف ليلة وليلة ، من الناحية البناء وتوالد الحكايات ..ويمثل (محمود المهندس الشخصية السردية ، شهرزاد هو الأيسر لخدعة صدقيه (المهندس) داخل الكوخ ..) ويمكن في ضوء هذه الثنائيات الدلالية التي لنفسها صدى في الفضاء الذي ينقسم على أثر ذلك إلى ثنائيات كما تحد لنفسها صدى في الزمان الذي ينقسم على إثر ذلك إلى ثنائيات أيضاًً ، تصوّوّر نوعين من الشخصيات :

– الأولى تؤكد العالم الذي تحتويه النصوص الفاقدة للمبنى كما تؤكد ثبات حدوده : (الكوخ ، المنارة ، البحر)

– والثانية تخترق هذه الحدود ، وبعبارة أخرى تقوم بتفجير العنصر، وتبرز مجموعة من التحديدات التي تلقي بظلالها على مجموع عناصر القصة وتسمها بمسميتها، فهناك أولاًً تعيين للسّسّ ارد،وهو سارد يتشكل تلفيظاًً من خلال ضمير (المتكلم)، إنّه سارد متعالي مالك للحقيقة ومطلق المعرفة ،إنّهداخل الشخصيات وخارجها ، يجمع بين يديه وظيفة السّسّ رد ووظيفة التأويل ،إنّه يصرح بأنّ ما بين يديه قصص ،وإنّه سيكتب هذه القصص والحكمة التي تتصدّدّ ر كلامه : " عندما كنت صغيراًً أحسب أنّ هناك أرضاًً للحكايا نستطيع ...) ويفتتح بها القصة هي خلاصة لهذه القص (ة) ص ،(الحكمة سابقة على الإحداث على مستوى السرد ولاحقة عليها على مستوى القص(ة) ص) وبما أنّه مالك لها تين الوظيفتين ،فإنّ خطابه يتحوّوّل إلى وظيفة ميثا– سردية أيّيّ إلى خطاب يتحدّدّ ث من خلاله عن الحكي وعن القص(ة) ص ، والحكمة هنا نص نسقي(2 قابل للتسريد في أيّيّ وقت وقابل لتوليد قص(ة)ص يدعم بها المضمون الحكمي من هنا ستكون هذه الحكمة منطقاًً لمجموعة من التمييزات تبدأ بالحواس،وتنتهي بالمواصفات والوظائف التي تلتقطها عين السّسّ ارد (محمود المهندس) لتودعها داخل كيان الشخصيات الفاعلة داخل نص النصوص (أرض الحكايا)

وأولى هذه التمييزات هي التمييز بين القلب والعين (معادلها نافدة ا الكوخ ومحمود المهندس) بين الحاسة الداخلية وإدراك الأشياء الخارجية ،بين التعامل السّسّ طحي مع الأشياء والتعامل الوجداني معها إن هذا التمييز سيكون هو أصل التمييزات اللاحقة ومنطلقها وإذا جعلت سناء شعلان ،محمود المهندس (الشخصية) كمركز توجيه على مستوى السّسّ رد وعلى مستوى التلقي ، سنحاول الإحالة على مواصفات شخصيات أخرى مالكة لمواصفات مشابهة للأولى : حارس المنارة الذي هو نفسه حكاية تذرع "أرض الحكايا"ذهابًاً وإيابًاُ " انه رجل مجنون، يسكن المنارة المعطلة منذ سنوات ،ويقضي ليلة في السير على الشاطئ ممسكا مصباحاًاً يدوياًاً ، أمّانهاره فيقضيه متنقلاًاً بين صخور الشاطئ الشرقي ،كأنه يبحث عن شيء ما ، قلما يغادر ساحل المنارة وقلما يحدث أحداًاً ".

وإذا كانت هذه الشّشّ خصية الموازية للشخصية الأولى (فاعل داخل نسيج (أرض الحكايا) على الأقل فإنّ (محمود المهندس) يتميز بالاستمراريّة على مستوى السّسّ رد وعلى مستوى القصص ، فكل الأحداث المسجلة في المجموعة القصصية لها مرجع واحد هو هذه الشخصية ((السّسّ اردة) أو الكاتب لهذه القصص) كمشارك أو متفرجا أو موضوع لفعل ما،وإذا كانت هذه الخاصة لاتحدد ماهية (محمود المهندس) ولادور لها في تشكيل هذه الماهية ،فإنها على المستوى آخر تعد الخيط الرئيسي المؤدي إى تشكيل كينونة الشخصيات الأخرى، فمحمود المهندس يمكن النظر إليه كمرجعية قيمية تقاس عليها كلّلّ القيم المبثوثة في النّنّص بالإضافة إلى كونه محدداًاً من خلال رسم علم كامل (محمود المهندس)، فإنّه متميز من خلال امتلاكه للقصص وهذه القصص هي من الجدة والأصالة التي يستمدّدّها من الشّشّ خصية الموازية له في أرض الحكايا (حارس المنارة وزوار الشاطئ (..ومن هنا يتخذ شكل حكم مسترسلة كخلاصة مما سيروي فيها بعد ، فالوجه المجرّرّد للقصة الحد ألمفهومي الذي يتّتّخذ شكل حكمة) يسبق وجهها المتحقق أيّيّ سابق على إدراكها من لدن القارئ كمجموعة من القصص المترابطة ..وهذا الترابط هو ما يؤهل هذه المجموعة ، كمجموعة اهتمت بالمتوالية

الحكائية والشخصيات السّسّردية ، وهذا والوعي بالتشابه ..هو ما يغري بكتابة الرّرّواية إن لم يكن تمرين مقصود أو تسخين لانجاز عمل قادم اسمه الرّرّواية أو اقل تقدير روائية قادمة بوعي حاد ،وأن كنت رمت في هذه القراءة للشخصيات النص السردي * ،لاكناقد بل كقارئ ذواقٍ للنصوص يسعى إلى إغراء الآخرين أو تورطهم ، ليس بقراءة أرض الحكايا فحسب ولكن بمعاينتهاكذلك جمالاًَ ورؤية العالم.

* الشخصيات النّصّ السّسّردي

سعبد بنكراد :.منشورات كلية المولى إسماعيل

جامعة العلوم الإنسانية مكناس

العيون

24/12/2007